# في مجلس العزاء

٢٦/٦/١٤٣٧هـ

يذكر لي أحدُ الإخوة أن فلبينيًّا يعمل في إحدى الشركات في السعودية، فتوفي قريبُ زميله في العمل، فذهب ليعزي زميلَه وأهلَه، فدُهش من كثرة الحضور، وقال لزميله: هل كل هؤلاء المعزين أقاربك؟ قال: لا، بل أقاربي لا يمثلون إلا أقلّ من ٢٥٪ من هذه الأعداد! فقال: والبقية؟ قال: هؤلاء إخواننا في الدين، جاؤوا مواسين، ومخففين المصاب بالدعاء والشد من الأزر، فسأل الفلبينيُّ زميلَه عن كيفية الدخول في هذا الدِّين.

التعزيةُ هي صورةٌ من صور الترابط بين أفراد المجتمع المسلم، وكم خفّفتْ من مصابٍ كان وقْعُه على المصاب كبيرًا!

ما أجمل تلك الدعوات التي يقولها المعزّي للمُعَزَّى: «إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر، ولتحتسب»[1] ونحوها من العبارات التي تزيد الإنسانَ من اليقين بالصبر، والتذكير بحقيقةِ المصير، والحثّ على لزوم الاحتساب، الذي يزيد من أجور المصاب.

(١) رواه البخاري (رقم١٢٨٤)، ومسلم (رقم٩٢٣).

والتعزيــة كغيرها، يعتريها بعــضُ المنغّصات التي تكــدِّر صفوَها، ويقضي واجبُ النصح التنبيهَ عليها، ومن ذلك:

من المعلوم أن الجلــوس للعزاء من المســائل المختَلَف فيها بين أهل العلــم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ وليس مرادي ذِكر الخلافِ فيها، بل المقصود التذكير بأنها من مســائل الاجتهاد، فلا ينبغي التثريبُ على مَــن أخذ بأحدِ القولين، شريطةَ تجنّب بعض المحاذير الشرعية -فيمــن اختار القول بالجلوس- كصنع أهل الميــت الطعامَ للمعزّين، أو الإسراف فيــما يقدّم لهم، وكأن الناسَ في عرسٍ لا عزاء!

التعزيةُ فرصةٌ لتقارب قلوب الأقارب، وتقليص مســاحات الجفاء -إن وُجِدت- فليس من المقبول أن تنقلب هذه المناســبةُ إلى خصوماتٍ أو شقاقٍ مع أهل الميّت بسبب رغبةِ هذا وذاك في تقديم العشاء أو الغداء للمعزيّن وأهل الميت.

يَحْسُــنُ بالمصاب إذا لم يرَ بعضَ من يتوقع حضورَهم أو اتّصالهم مِن أقاربَ أو أصدقاء أو من لك حقٌّ عليهم أو زملاء عمل أن يلتمس العذرَ لهم، فقد يكون الخبر لم يبلغهم، أو مســافرون إلى أماكن بعيدة، أو مرضى لا يســتطيعون الحضورَ ولا الاتصال، وكم حملت الأخبارُ مِن أعذارٍ لا تخطر على بالِ كثيرٍ منا!

أتذكّرُ أن أحدَهم عاتبَ شخصًا على غيابه، فقال المعاتَبُ: لقد أجريتُ عمليــةً جراحيةً في القلــب وأنت لا تَعلم، ولم تتصــل بي، ولم أعاتبك! فاعتذر المعاتِبُ بأنه لم يعلم، واســتحى، فقال له صاحبُه: الناسُ كذلك لهم أعذارٌ قد لا تَبْلُغُكَ، وليس في كل حينٍ يســتطيع الإنسانُ ذِكر عُذْره، فما أحسن أن نُوسّع دائرةَ العذرِ فيما بيننا قدْرَ الإمكان!

وليس من المناسب أن تَتضاعَف المصيبةُ بحفر أخاديدَ من العتابِ واللومِ بين المصابِ ومَن سبق ذِكرهم، فإن هذا من مداخل الشيطان، ويمكن تجاوز ما قد يقع في النفس بمصارحةٍ من يُستَكثر منهم التخلُّف، لكن بعدَ أيام من المصيبة، فإن العاقل مَن التمسَ الأعذار، فإن لم يجد فليقل: لعل لهم عذرًا خَفِي عليّ.

-وفي محيط النساء، فإن بعضَ الأخوات حين تحضَر للعزاء لا تحقِّق المقصود من العزاء -وهو المواساة والتخفيف- بل تُخالِفه، فتكون بلسانِ حالها ومقالها مهيّجةً على تجديد الأحزان، وتعميقِ المصاب، ولمن تَعرف مِن نفسها أنها من هذا النوع الذي لا يَحتمل المصابَ فيمكنها الاعتياض عن ذلك باتصالٍ، أو بنقلِ المواساة برسالةٍ بالجوال، أو بغير ذلك من الوسائل المتاحة.

- قد يحصل أن بعضَ الناس لا تتيسر له التعزيةُ في وقتها المعتاد، فإذا ذهبتْ، وبرَدَت حرارتُها على قلوبِ أهل المصاب، فلا يَحسن التعزيةُ هنا، بل لا تُشرع؛ لأن مقصدَ التعزيةِ هنا انتهى، ومِن جميل ما يُذكر ههنا: أن رجلًا لقي آخر قد أصيب بمصيبةٍ، فأبطأ عن تعزيته، فقال: لولا أن تجديد التعزية يجدد جزعًا في المصيبة، لعزيناك عمن مضى![1].

وختامًا، فما أحسن ما قاله بعض السلف معزيًا رجلًا مات أبوه: يا هذا، إن كانت مصيبتك في والدك أحدثتْ لك عِظةً في نفسك، فنِعم المصيبة مصيبتك؛ وإلا فمصيبتك بنفسك أعظم من مصيبتك بأبيك[2].

(١) التعازي لأبي الحسن المدائني (ص٩٨).
(٢) التعازي لأبي الحسن المدائني (ص٣٦).